يا جنّة العلياء !

بمناسبة نوبل كلية الطب يوسف الذهبي

في المشرقين نشرتِ نورَ هداكِ ... والغربُ عبّاقٌ بطيبِ شذاكِ

يا جنّةَ العلياء هل من جنّةٍ ... تُهدي الى العلياء مثلَ جناكِ

روّحتِ صدرَ الدينِ حتى شاقَهُ ... ما تحملُ النسماتُ من رَيّاكِ

من حولكِ الانهارُ يجري ماؤها ... مُتدافعَ الثيّارِ فوقَ ثراكِ

حتى زكتْ فيكِ الغصونُ وناطحتْ ... قِمَمَ الجبالِ وهامةَ الأفلاكِ

فالعلمُ لاحتْ في البلادِ بُدورُهُ ... مُذْ فاضَ في جوّ البلادِ سَناكِ

كم من فتًى حاز العُلى من بعد ما ... أرواهُ من لبنِ العُلى ثَدْياكِ

كم من فتًى نظّمَ الحُلى في نحرهِ ... لمّا مَلأتِ من الجواهر فاكِ

كم من فتى قد صار سيّدَ قومهِ ... وفؤادُهُ يَهفو الى مَرْآكِ

يُثني عليكِ وقلبُهُ بكِ هائمٌ ... ولسانُهُ لهجٌ بنشرِ جلاكِ

لكِ مُهجةُ الأمِّ الرؤومِ وطالما ... أنسى حَنانُ الأمّهاتِ هَواكِ

إن يُكبرِ الناسُ الوفاءَ فإنّما ... قد أكبروا عند البلاءِ وفاكِ

فلكم أعنتِ على الزمانِ وصَرفهِ ... وبذلتِ في مَدَدِ الضعيفِ قُواكِ

أوَ يُنكرُ الشرقيُّ ما أوليتِهِ ... مما يُخلّدُ في الورى ذِكْراكِ

أوَ يَجحدُ الأبناءُ فضلَكِ والعدى ... شَهِدوا بما قد أغدقتْ كفّاكِ

كم من يتيمٍ كانَ عالةَ قومهِ ... فغدا إمامَهُمُ بفضلِ غذاكِ

كم جاهلٍ امسى مَنارَ بلادهِ ... بعد اقتباسِ العلمِ في مغناكِ

رشفَ المعارفَ وهو رَيّانُ الحشا ... حتى ارتوى من ماءِ عينِ سَماكِ

كم تائهٍ أمسى على نَهجِ الهدى ... لمّا تكحّلَ طَرْفُهُ بهُداكِ

لولاكِ ساد النيُّ في اصقاعنا ... فطَغتِ حُبّةَ لُبِّهِ بقَناكِ

للعكمة الغرّاء فيكِ مَنابرٌ ... وضّاحةٌ تهدي الى مبناكِ

٢٣

للعلم والآداب فيكِ مَشارعٌ سكرَتْ بسَلسَل مائها أبناكِ
سقياً لِمن تَرعاهُ عينُكِ في الدُجى وتقودُهُ للمَفخُراتِ يداكِ
رمقَتْكِ لاحظةُ السماء من العِدا ورقَت من الزَلَلِ الذَميمِ خُطاكِ
فنهَجْتِ في دنياكِ اقوَمَ مَنهجٍ وتَبِعْتِ ما يَرضى بهِ مولاكِ
من يَتبعِ الحقَّ المُبينَ فانَّما يَطأُ الغُواةَ كما وَطِئتِ عداكِ
يا غابةَ الآسادِ كم من جَحفلٍ قد سار للهيجاء تحت لِواكِ
خاض المَعامِعَ بين أطراف القُنى تَحميهِ من عُصَبِ الفَساد ظُباكِ
أَمنارةَ الأبحار هل من مَركبٍ الّا اهتدى في شرقنا بضياكِ
فلأَنتِ مرفأنا الامينُ فإنْ سطا جيشُ المَعاطب نحتمي بحماكِ
ولأَنتِ مَعقِلنا الحريزُ اذا عدا يوماً علينا في الوغى أعداكِ
لمارِدتِ أذواءَ الفنون وما برَتْ وحزوزُها لم تخشَ غيرَ دواكِ
يُعيي الأساةَ الداءُ يعيى دواءُ أعياكِ داءَ جاهليةٍ نهاكِ
لم تَخفِلي بالنازلاتِ مَواعقاً والعاصفاتُ تهبُّ حول فِناكِ
إن كان قلبُكِ في النوائب جندلاً أفيَستطيع الحاسِدونَ أذاكِ
يا نجمةً عَشِقَتْ محاسنَها العُلى إنَّ العُلى منذ الصبا تهواكِ
آثارُكِ الحَسناء قد رُقِمَتْ على أَلبابنا تُحزي الذي عاداكِ
لو لم يكن للماقتين غَشاوةٌ تُعمي العيونَ لأعظموا مسعاكِ
سيري على منحاكِ تَحرِسُكِ العلى فالكبرتُ يرفع شأنَهُ منحاكِ
وأطوي من الأعصار ما شاء الأُلى يرعَونَ بالمُهجاتِ عَهدَ وِلاكِ
ابدًا تَترنُّ الى لِقاكِ عيونُنا وقلوبُنا تحلو لها نجواكِ
وعلى رضاكِ دماؤنا موقوفةٌ والموتُ عذبٌ في سبيل رضاكِ
نَفديكِ بالأرواح غاليةً ولا نهوى سوى أن نستميتَ فداكِ
يوبيلُكِ الذهبيُّ قد نشر المنا في كل قلبٍ شاعر بندكِ

المنوري بطرس البستاني استاذ البيان في كليّة القديس يوسف